الاستشراف في السنة النبوية
وأثره في الدعوة إلى الله

أ.د. حذيفة عبود مهدي السامرائي
كلية الامام الأعظم الجامعة

مجلة
كلية الامام الأعظم الجامعة
العدد (١٨)
١٤٣٥هـ

Dr.huthaifa81@gmail.com
Twitter: @DrHuthaifa

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الدعاة الذي راعى الماضي ، وعايش الحاضر ، واستشرف المستقبل وخطط له ، ووجه الدعوة والدعاة إلى ما سيقدمون عليه في قابل الأيام ، ورضي عن صحابته الكرام الذين قاموا بواجب الدعوة إلى الله على أحسن وجه ، وقالوا للناس حسناً ، وبعدُ :

فإن استشراف المستقبل يعد معلماً مهماً في نجاح الدعوة والداعية؛ فالعمل الدعوي بحاجة ماسة إلى رؤية مستقبلية متكاملة وواضحة ، بعيداً عن الارتجال والعشوائية والتخبط ، والداعية إلى الله أولى الناس باستشراف المستقبل والتخطيط له ، فمن الدعاة من يعمل وفق ما تمليه عليه أيامه وظروفه من غير تخطيط ولا استشراف لما هو قادم، فيقع في مشكلات كان يمكنه تجاوزها .

إن الاهتمام بالمستقبل والدراسات المستقبلة ليدل على تطور الحضارة ، وهو من المقومات الرئيسة في صناعة النجاح ، سواء على المستوى الشخصي ، أو على المستوى الاجتماعي ، أو الحضاري.

والسنة النبوية المطهرة قد ندبت إلى استشراف المستقبل ، ورغبت في التخطيط المستقبلي ، وأكدت دوره في صنع القرار ، وتطوير مجالات الحياة المختلفة ، وكان لنظرة النبيﷺ المستقبلية وإعداد العدة لكثير من الأحداث أثر كبير في تطور الدولة الإسلامية ، ولم يكن ازدهار الحضارة الإسلامية والنهضة خلال العصور الذهبية إلا أثراً لاستشراف المستقبل في العهد النبوي .

ومن هذا المنطلق جاء بحثي هذا بعنوان: ((**الاستشراف في السنة النبوية وأثره في الدعوة إلى الله**))

أما خطة البحث:

فستكون في مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث ، مع بيان أسس الاستشراف ومقوماته وأهميته ووسائله في السنة النبوية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمفردات البحث .

المطلب الثاني: أسس الاستشراف ، ومقوماته ، وخصائصه في السنة النبوية .

المطلب الثالث: استشراف المستقبل أهميته ووسائله .

المبحث الثاني: الاستشراف في المجال الدعوي في ضوء السنة النبوية:

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: أهمية الدعاية في الإسلام .

المطلب الثاني: الرجاء عنصر مهم في نجاح الدعوة .

المطلب الثالث: ابتلاء الدعاة إلى الله سنة إلهية .

المطلب الرابع: الأولى اجتناب الفتنة .

المطلب الخامس: التخطيط من ركائز نجاح الدعوة واستمرارها .

المطلب السادس: حرص الداعية على الدعوة من أسباب نجاحها .

المطلب السابع: أثر الملأ على الدعوة إلى الله .

المطلب الثامن: موقف الداعية من العصاة .

المبحث الثالث: أثر استشراف المستقبل في الدعوة إلى الله :

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر استشراف المستقبل في الدعوة .

المطلب الثاني: ضوابط استشراف المستقبل في الدعوة .

المطلب الثالث: أهمية استشراف المستقبل للدعوة والداعية .

ثم الخاتمة متضمنة النتائج .

وختاماً : أسأل الله أن أكون قد وفقت في بحثي هذا ، فحسبي أني كنتُ حريصاً عليه ، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعل ذلك حسنة ومثوبة لي ولوالديَ ولأساتذتي وإخواني وأحبائي ، وأن يكون هذا البحث ذكراً طيباً لنا في صحائف أعمالنا يوم نلقاه .. آمين .

المبحث الأول
التعريف بمفردات البحث
مع بيان أسس الاستشراف ، ومقوماته ، وأهميته ، ووسائله في السنة النبوية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمفردات البحث .

المطلب الثاني: أسس الاستشراف ، ومقوماته ، وخصائصه في السنة النبوية

المطلب الثالث: استشراف المستقبل أهميته ووسائله .

المطلب الأول: التعريف بمفردات البحث:

١. تعريف الاستشراف لغةً واصطلاحاً:

الاستشراف في لغةً:

أصله من شرف وأشرف وتشرف واستشرف ، يقال: شرف المكان شرفاً أي ارتفع ، والرجل شرف أي علت منزلته فهو شريف ، وأشرف الشيئ: علا وارتفع عليه ، واطلع من فوق وقاربه ، وتشرف للشيء: تطلع إليه ، ومنه تشرف البناء: أي جعلت له شرف ، ومعنى الفعل استشرف : أي انتصب وعلا ، واستشرف الشيء أي: رفع بصره ينظر إليه، وتشرف الشيء واستشرفه: إذا وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه[١].

وجاء في تاج العروس : ((استشرف الشيء: رفع بصره إليه ، وبسط كفه فوق حاجبه ، كالمستظل من الشمس ، نقله الجوهري، قال: ومنه قول الحسين بن مطير الأسدي:

فيا عجباً للناس يستشرفونني ... كأن لم يروا بعدي محباً ولا قبلي))[٢].

الاستشراف في الاصطلاح:

هناك تعريفات عديدة للاستشراف .. منها:

- ((التطلع إلى المستقبل من خلال دراسة الماضي ، وفهم الحاضر والسنن الفاعلة فيها))[١].

---

[١] ينظر: لسان العرب: ابن منظور ، ٩ / ١٧١ ، مادة (شرف) .

[٢] تاج العروس: الزبيدي ، ٢٣ / ٥٠٥ ، مادة (شرف) .

- وعرفه بعضهم بأنه: ((الوقوف على ربوة عالية لاستطلاع آفاق المستقبل المنظور كل بحسب ما يسمح به ملء بصره وبصيرته ، فالجهد الاستشرافي المستقبلي هو نوع من الحدس التاريخي المستند الى قاعدة علمية))[٢].
- ومنهم من عرفه بأنه: ((المستقبل والتبصر بأحداثه والألمعية والحدس والفراسة بما سيكون فيه ، والتحسس والتطلع لاستكشافه وتقدير ما يتوقع فيه ، وما سيطرأ على الحاضر من متغيرات ومستجدات ، فهو باختصار: توقع ما سيحدث في المستقبل))[٣].
- وعرف أيضاً: ((هو جهد علمي منظم يدرس الماضي والحاضر ليتوقع المستقبل من خلال سنن الله في خلقه))[٤].

ومن خلال التعريفات: التي تقدمت فإنها تدور في نفس المعنى العام مع اختلاف في ألفاظ التعريف ، والذي أراه أن أدق تلك التعريفات هو: التعريف الأول .

فالمقصود بمعنى الاستشراف إذاً: هو استطلاع المستقبل بما يتوفر من دلائل وأحداث ، للإخبار بما ينبغي أن يكون عليه لاحقاً .

=

[١] أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية: د.طه محمد فارس ، ص٥ .

[٢] مستقبليات التعليم: ص٦٠ ، نقلاً عن مجلة عالم الفكر: ١٨/١٠٠٥/١٩٨٨.

[٣] استشراف المستقبل والتخطيط له وحاجة الدعوة والداعية إليه: د.علي الشنقيطي ، ص٤٢٤ .

[٤] استشراف المستقبل في الأحاديث النبوية: عبد الرحمن قشوع ، ص ١٢ .

٢. تعريف السنة النبوية:

السنة لغةً:

الطريقة والسيرة. قال في المصباح المنير: ((والسنة: الطريقة ، والسنة: السيرة حميدة كانت أو ذميمة ، والجمع سنن مثل: غرفة وغرف))[١] لكن السنة عند الإطلاق تنصرف إلى الحميدة.

وفي اصطلاح المحدثين:

هي عبارة عن ((أقوال النبيﷺ وأفعاله وتقريراته ، وصفاته الخَلقية والخُلقية))[٢].

وفي الفرق بين الحديث والسنة: يرى بعض العلماء أن الحديث خاص بقوله وفعله ، والسنة تشمل الأقوال والأفعال والتقريرات والصفات ، والسكنات والحركات في اليقظة والمنام والهم وعلى هذا فالسنة أعم من الحديث[٣].

٣. تعريف الدعوة إلى الله لغةً واصطلاحاً:

الدعوة لغةً:

دَعا الرجلَ دَعْواً ودُعاءً ناداه ، والاسم الدعْوة، ودَعَوْت فلاناً أَي صِحْت به واسْتَدْعَيْته ، والدُّعاةُ قومٌ يَدْعُونَ إلى بيعة هُدىً أَو ضلالة واحدُهم داعٍ ورجل داعِيةٌ إذا كان يَدْعُو الناس إلى بِدْعة أَو دينٍ أُدْخِلَت الهاءُ فيه للمبالغة[٤].

ودَعاهُ: ساقَهُ ، ويُطْلَقُ الداعي على المُؤَذِّنِ أيضاً ؛ لأنه يدعو إلى ما يقرب من الله ، وقد دعا فهو داع والجمع دعاة وداعون كقضاة وقاضون[٥].

---

[١] المصباح المنير: الفيومي ، ١ / ٢٩١ ، مادة: (سنن) .

[٢] الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن سويلم أبو شُهبة ، ١ / ١٦ ، وينظر: توثيق السنة في القرن الثاني الهجرة: د.رفعت فوزي ، ص١١ .

[٣] ينظر: المصدر نفسه: ١ / ١٦ .

[٤] ينظر: لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور ٢٥٧/١٤ .

[٥] ينظر: القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،١٦٥٥/١، وتاج العروس: لمحب الدين محمد مرتضى الزبيدي ، ٨٣٨١/١.

الدعوة في الاصطلاح :

عرفت الدعوة بأنها: ((الطلب بشدةٍ وحثٍ على الدخول في دين الإسلام ، اعتقاداً ، وقولاً ، وعملاً ، ظاهراً ، وباطناً))[١].

وفي تعريف آخر ، الدعوة هي: ((تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة))[٢].

فمن خلال التعريفات يظهر لنا أن الدعوة هي : إرشاد الناس إلى شريعة الله التي أنزلها على العباد ، لتخرجهم من الظلمات إلى النور .

---

[١] كنوز الدعوة إلى الله وأسرارها: الشيخ يوسف خطار محمد ، ص١٨ .

[٢] المدخل إلى علم الدعوة: محمد أبو الفتح البيانوني ، ص١٧ .

المطلب الثاني: أسس الاستشراف ، ومقوماته ، وخصائصه في السنة النبوية:

١. أسس الاستشراف في السنة النبوية ، وتوريثه للصحابة:

في السنة النبوية شواهد جمة على بث روح الاستشراف الذي ينظر إلى حسنات المستقبل ، ليتغلب على مصاعب الحاضر وتهون معه أحزان الماضي ، من ذلك حديث عدي بن حاتم ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((يا عدي .. لئن طالت بك حياة لتُفتحنّ كنوز كسرى .. ولئن طالت بك حياة ، لتَرَيَنَّ الرجل يخرج ملءَ كفه من ذهب أو فضة ، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه))[١].

وظهر أثر التوجيه الاستشرافي النبوي واضحاً في سلوك الصحابي حذيفة بن اليمان ﷺ إذ قال: ((كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أساله عن الشر مخافة أن يدركني ...))[٢].

ومع بث روح الاستشراف الايجابي ، يغرس النبي ﷺ في عقول الصحابة ملكة التخطيط للمستقبل ، كالتخطيط الاقتصادي في وصيته ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ، يوم استأذنه في أن يتصدق بماله أو شطره أو ثلثه ، فأذن له في الثلث ، وبين الحكمة الاستشرافية ، فقال ﷺ: ((إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ))[٣].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام ، (٤/ ١٩٧ ، ٣٥٩٥) ، والبيهقي في السنن الكبرى: كتاب السير ، باب: إظهار دين النبيﷺعلى الأديان ، (٩/ ٢٩٨ ، ١٨٦٠٤).

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب ، باب: علامات النبوة في الإسلام ، ٤ / ١٩٩ ، ٣٦٠٦. ومسلم في صحيحه: كتاب الإمارة ، باب: الأمر بلزوم الجماعة ، ٣ / ١٤٧٥ ، ١٨٤٧.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الوصايا ، باب أن يترك ورثته أغنياء ، ٤ / ٣ ، ٢٧٤٢ . ومسلم في صحيحه: كتاب الوصية ، باب الوصية بالثلث ، ٣/ ١٢٥٠ ، ١٦٢٨ .

ومن تلك الحكمة استنبط الإمام القرضاوي أنه: ((لا يجوز أن يسرف جيل من الأجيال في استغلال الموارد الطبيعية ، والاستمتاع بالثروة الوطنية على حساب الأجيال القادمة))[١].

الصحابة يرثون ملكة الاستشراف عن النبي ﷺ:

ورث الصحابة الكرام رضي الله عنهم من النبي ﷺ ملكة الاستشراف وساروا على منهجه في ذلك ، فكانوا يستشرفون المستقبل ويخططون له ، فعملاً بالمبدأ ذاته في وصيته ﷺ لسعد السابقة ، رفض سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ تقسيم أراضي السواد المفتوحة بالعراق، فنظر ﷺ بعين الأب الرحيم إلى الأجيال القادمة.

لقد كان المألوف المعروف أن تقسم تلك الأراضي قسمة التخميس ، ولكن سيدنا عمر ﷺ اجتهد فلم يقسمها تلك القسمة ، فعن عبد الله بن قيس قال: ((قدم عمر الجابية ، فأراد قسم الأرض بين المسلمين ، فقال له معاذ: والله إذن ليكونن ما تكره ، إنك إن قسمتها صار الريع العظيم في أيدي القوم ، ثم يبيدون ، فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة ، ثم يأتي من بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسداً ، وهم لا يجدون شيئاً ، فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم))[٢] ، قال أبو عبيد: ((ذلك أنه جعله فيئاً موقوفاً على المسلمين ما تناسلوا ، ولم يخمسه ، وهو الرأي الذي أشار به عليه علي بن أبي طالب ﷺ ، ومعاذ بن جبل رحمه الله))[٣].

---

[١] هموم المسلم المعاصر: د.يوسف قرضاوي ، ص١٢١ .

[٢] كتاب الأموال: لأبي عبيد ، ١ / ٧٤ ، رقم الأثر: ١٥٢ .

[٣] كتاب الأموال: لأبي عبيد ، ١ / ٧٥ .

ولا يكون هذا إلا شأن اللبيب الفطن ، البصير بعواقب الأمور ، الذي يحسن استشراف المستقبل ويستعد له بحزم .. فعمر ﷺ **كما قيل:**

بصير بأعقاب الأمور برأيه *** كأن له في اليوم عيناً على غد[١]

وتلك هي النظرة الايجابية التي يجب أن نستشرف بها المستقبل ، فمن الخطأ العناية بهموم اليوم الحاضر والغفلة عن هموم المستقبل ، ثم إلقاء الأحمال على الأجيال اللاحقة[٢].

الثقة بالله تعالى وحسن الظن بمجاري أقداره:

من أسس الاستشراف الثقة واليقين وحسن الظن بالله وبمجاري أقداره ، والمسلم يستمد ذلك من وعد الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[٣].

ودليل وجوب حسن الظن بالله قوله ﷺ: ((قال تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني))[٤].

ومن حسن الظن بالله وبمجاري أقداره: التفاؤل ، من الفأل: ((وهو الكلمة الطيبة التي يسمعها السامع من غير قصد ، فيستبشر بها ، وعكسه الطيرة)) . قال ابن حجر: ((وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء ، والفأل بما يسر ، ومن شرطه: أن لا يقصد إليه

---

[١] هذا البيت لابن قتيبة أنشده لبعض الأعراب ، ينظر: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (مطبوع بهامش شرح العكبري: يوسف البديعي الدمشقي ، ١ / ٣٢٢ .

[٢] ينظر: الاستشراف الايجابي للمستقبل في ضوء السنة: د.الذواتي ، ص٣٢٧ .

[٣] الزمر: ٣٦.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه) ، ١٢١/٩ ، ٧٤٠٥ . ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء ، باب الحث على ذكر الله ، ٤/ ٢٠٦١ ، ٢٦٧٥ .

فيصير من الطيرة))[١] فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا طيرة ، وخيرها الفأل. قالوا: وما الفال؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم))[٢] .

قال ابن بطال: ((وقد جعل الله في فطرة الناس محبة الكلمة الطيبة والفأل الصالح والأنس به، كما جعل فيهم الارتياح للبشرى والمنظر الأنيق، وقد يمر الرجل بالماء الصافي فيعجبه وهو لايشربه وبالروضة المنثورة فتسره وهي لاتنفعه))[٣].

٢. مقومات الاستشراف في السنة النبوية:

مقومات الاستشراف في السنة النبوية كثيرةٌ ، لا يتسع المقام لذكرها تفصيلاً ، وسنورد هنا بعض الأمثلة للاختصار ، **وهي:**

- **زاد الثقة بالله تعالى:**

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ﷺ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: ((كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ))[٤]. فالواثق بنصر الله مطمئن الخطى ، يغرس الشجر ، ولا يستعجل قطف الثمر .

- **زاد العلم:**

---

[١] فتح الباري : لابن حجر العسقلاني ، ١٠ / ٢١٥.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الطب ، باب الفال ، ١٣٥/٧ ، ٥٧٥٥. ومسلم في صحيحه: كتاب السلام ، باب الطيرة والفأل ، ٤/ ١٧٤٥ ، ٢٢٢٣ .

[٣] شرح صحيح البخاري: لابن بطال: ٩ / ٤٣٧ .

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ٢٠١/٤ ، ٣٦١٢ .

من مقومات الاستشراف العناية بالعلم ، وهو: كل علم نافع تحتاج إليه الأمة ، وقد حث النبي ﷺ على طلب العلم في مواطن كثيرة ، والمناسب للمقام هنا أن نذكر واحداً من نصوص الاستشراف النبوي ، فعن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويكثر الجهل ...))[١].

والمقصود الحث على تعلم العلم ، فانه لا يرفع إلا بقبض العلماء ، وما دام من يتعلم العلم موجوداً ، فلا يحصل الرفع[٢].

- **حراسة الدين والقيم:**

ومن مقومات الاستشراف حراسة الدين والقيم ، ومن الاستشراف النبوي في ذلك ، حديث السفينة ، فعن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا))[٣].

- **قوة الدعاء** : وبالدعاء نستشرف المستقبل ، فنستلهم القوة الروحية المنبعثة من اليقين في الله والتوكل عليه وحسن الظن بمجاري أقداره ، يقول النبي ﷺ: ((ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ولاه))[٤].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح ، باب يقل الرجال ويكثر النساء ، ٣٧/٧ ، ٥٢٣١.
ومسلم في صحيحه: كتاب العلم ، باب رفع العلم ، ٤ / ٢٠٥٦ ، ٢٦٧١.

[٢] ينظر: فتح الباري: ابن حجر العسقلاني ، ١ / ١٧٨ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة ، ٣ / ١٣٩ ، ٢٤٩٣ .

[٤] أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الدعوات ، ٥ / ٥١٧ ، ٣٤٧٩ ، والطبراني في المعجم الأوسط: باب الميم ، ٥ / ٢١١ ، ٥١٠٩ . وقال الترمذي: ((هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ))
.

وفي استقبال الغد بانشراح ونشاط وقوة يرشدنا النبي ﷺ أن نقول: ((اللهم أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين ، وغلبة الرجال))[١].

وبدعاء الاستخارة نستقبل ما يختاره الله لنا من الأقدار بالرضى والتوكل والعزم[٢].

٣. خصائص الاستشراف في السنة النبوية :

سأبين هنا خصائص الاستشراف في السنة النبوية مختصراً على شكل نقاط ، ويمكن الرجوع إلى تفصيلاتها في البحوث المختصة بذلك ، وهذه الخصائص وهي:

أ- استشراف مؤطر بالإيمان بالقضاء والقدر والرضى بهما .

ب-استشراف وفق السنن الإلهية لا التكهنات الغيبية .

ت- استشراف يقوم على الأمل في حسن العاقبة .

ث-استشراف لحضارة محورها الإنسان .

ج- استشراف للصورة الحسنة الوضيئة للإسلام في أعين الغير[٣].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات ، باب الاستعاذة من الجبن ، ٨ / ٧٩ ، ٦٣٦٩.

[٢] ينظر: الاستشراف الايجابي للمستقبل في ضوء السنة النبوية: د.الذوادي بن بخوش ، ٣٣٥ .

[٣] للاطلاع على تفصيل أكثر للموضوع ، ينظر: المصدر نفسه ، ٣٣٦ .

المطلب الثالث: استشراف المستقبل أهميته ، ووسائله في ضوء السنة النبوية:

١. أهمية الاستشراف في ضوء السنة النبوية:

ينطلق استشراف المستقبل في المنهج الإسلامي من مرتكزات شرعية ، ويقوم على أسس دينية ، وقيم خلقية؛ لأن الشريعة الإسلامية التي جاء بها نبينا محمد ﷺ وضعت لجلب المصالح ودرء المفاسد ، قال الشاطبي: ((وقصد الشارع إلى مصالح الخلق ، بالتكليف في العاجلة والآجلة))[١] وهو مؤسس كذلك على ثوابت عقدية تتمثل في وجوب العناية بالمستقبل ، وضرورة الاستعداد لليوم الأخر كما قال تعالى: ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ قال الشوكاني: ((أي لتنظر أي شيء قدمت من الأعمال ليوم القيامة ، والعرب تكنى المستقبل بالغد))[٢] ومن هذه المقدمة يتبين حرص الإسلام على تربية الفرد المسلم على العناية بمستقبله عناية لا تقل عن العناية بحاضره ، وحثه على أن يكون استشراف المستقبل على الصعيد الدنيوي أو الأخروي قيمة من قيمه الحضارية ، ومقوماً من مقومات شخصيته .

وفي السنة النبوية تأصيل لاستشراف المستقبل ، وبيان لأثره البالغ في نهضة الأمة الإسلامية ، ودوره العظيم في تحقيق قوتها ، وبلوغها أهدافها ، فمن أعمل فكره في السنة النبوية المطهرة وأجال نظره في صفحات السيرة النبوية فانه سيجد نماذج متعددة وصوراً مختلفة لاستشراف المستقبل الديني والدنيوي ، والفردي والجماعي ، **ومن ذلك :**

- **استشراف المستقبل السياسي:** في حديث محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: ((أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ، قَالَ ﷺ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ))[٣].

---

[١] الموافقات: للشاطبي ، ٢ / ٢١٨ .

[٢] فتح القدير: للشوكاني ، ٥ ، ٢٤٤ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أصحاب النبيﷺ ، ٥ / ٥ ، ٣٦٥٩ ، ومسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة ﷺ ، باب من فضائل أبي بكرﷺ ، ٤ / ١٨٥٦ ، ٢٣٨٦ .

- **استشراف المستقبل الاجتماعي:** في حديث أنسﷺ قال: ((أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقْطِعَ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: حَتَّى تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ مِثْلَ الَّذِي تُقْطِعُ لَنَا، قَالَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً[١]، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي))[٢].
- **استشراف المستقبل المعيشي:** لتدبير حياة الأسرة ، وتلبية مطالبها ، وذلك في حديث سيدنا عمر ﷺ: ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ، وَيَحْبِسُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ))[٣].
- **استشراف مستقبل الأبناء** من أجل تحقيق مطالب حياتهم في قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ: ((إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ))[٤] وفي هذا الحكم تأكيد لضرورة استشراف مصالح الأبناء ، ووجوب اتخاذ الأمور اللازمة لتدبير أمورهم[٥].

٢. وسائل استشراف المستقبل:

أهم وسائل الاستشراف في الإسلام الاعتبار الذي يقرأ المستقبل باستصحاب السنن الإلهية، والتي منها:

- **سنة الاستخلاف:** ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾ النور:٥٥.
- **سنة النصر:** ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ محمد:٧.

---

[١] أثرة: ((بضم الهمزة وسكون المثلثة، أي: استئثارًا للحظ الدنيوي)) إرشاد الساري: للقسطلاني ، ١٠ / ١٧٠ .

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب المساقاة ، باب القطائع ، ٣ / ١١٤ ، ٢٣٧٦ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النفقات ، باب حبس نفقة الرجل ، ٧ / ٦٣ ، ٥٣٥٧.

[٤] سبق تخريجه: ص٨ .

[٥] ينظر: أهمية استشراف المستقبل وضوابطه في ضوء السنة النبوية: د.محمد البشير ، ص ١٧٨ .

- **سنة الاستبدال:** ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ ﴾}المائدة: ٥٤.
- **وسنة آجال الأمم:** ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾الأعراف:٣٤.
- **وسنة التدافع:** ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج:٤٠. وغير ذلك من السنن .

إن الاعتبار بالسنن هو الوسيلة التي يقرأ بها الماضي ، ويستشرف بها المستقبل ، ولا معنى للاعتبار ما لم تكن هناك سنن إلهية ثابتة ومطردة ، تحكم أفعال البشر وسلوكهم ، فلا يخرج عنها من ذلك شيء ، قال ابن تيمية: ((والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول ، ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار ، وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾[١]. والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه))[٢][٣].

ومن وسائل الاستشراف أيضاً: ((الوعي التاريخي والتجربة الماضية ، مع نفاذ البصيرة وبعد النظر وتقدير كل الاحتمالات من أجل الاستعداد لأسوئها))[٤].

كما يعتمد الاستشراف على: ((البحث المنهجي الذي يعتمد السمع والبصر والفؤاد))[١] ، وذلك لأجل الوقوف على رؤية متكاملة للاستشراف .

---

[١] يوسف: ١١١.

[٢] مجموع فتاوى ابن تيمية: ابن تيمية ، ١٣ / ٢٠ .

[٣] ينظر: الاستشراف الايجابي للمستقبل في ضوء السنة النبوية: د.الذوادي بن بخوش: ص ٣٠٩ .

[٤] المصدر نفسه: ص ٣٠٩ .

المبحث الثاني

الاستشراف في المجال الدعوي في ضوء السنة النبوية

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية الدعاية في الإسلام .

المطلب الثاني: الرجاء عنصر مهم في نجاح الدعوة .

المطلب الثالث: ابتلاء الدعاة إلى الله سنة إلهية .

المطلب الرابع: الأولى اجتناب الفتنة .

المطلب الخامس: التخطيط من ركائز نجاح الدعوة واستمرارها .

المطلب السادس: حرص الداعية على الدعوة من أسباب نجاحها .

المطلب السابع: أثر الملأ على الدعوة إلى الله .

المطلب الثامن: موقف الداعية من العصاة .

=

(١) مستقبل الإسلام في رؤية حضارية: لؤي صافي ، ضمن مجموعة بحوث بعنوان: مستقبل الإسلام ، ص ٣٦٢ .

المطلب الأول: أهمية الدعاية في الإسلام:

إن الإعلام من أهم عوامل انتشار الإسلام في هذه الأيام: ، حيث فيه تشحن الهمم ، وبه تخبو ، وبه تنتصر الشعوب وتغلب ، هذا وقد التفت الإسلام إلى الإعلام واستعمله من أجل استجلاب النصر واتقاء الضرر .

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ – قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ – فَكَسَعَ[١] رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ»[٢] فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُ، لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» وَكَانَتِ الأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ المُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ المُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ[٣].

المعنى العام للحديث:

قال الإمام النووي: ((فيه ترك بعض الأمور المختارة ، والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه ، وكان ﷺ يتألف الناس ويصبر على جفاء الأعراب والمنافقين وغيرهم؛ لتقوى شوكة المسلمين وتتم دعوة الإسلام))[٤].

---

[١] تكسع: ((أي تضرب مآخيرها إذا سيقت)) ، وكسع الرجل أي ضربه على قفاه ، غريب الحديث: ابن قتيبة ، ١ / ١٨٨.

[٢] «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ: ((أي مذمومة في الشرع ، مجتنبة مكروهة ، كما يجتنب الشيء النتن)) ، النهاية في غريب الحديث: لابن الأثير ١٦ / ١٣٨.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب تفسير القرآن ، باب يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ... ، ٦ / ١٥٤ ، ٤٩٠٧ ، ومسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة ، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما ، ٤ / ١٩٩٨ ، ٢٥٨٤.

[٤] شرح صحيح مسلم: للإمام النووي ، ٨ / ١٣٨ .

لقد توقع الرسول ﷺ أن يترتب على قتل عبد الله بن أبي سلول مفسدة ألا وهي الإشاعة والدعاية ، بقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، لان معرفة الرسول ﷺ وأصحابه بنفاق أبي سلول لا يعني أن عوام الناس يعرفون ذلك ، وعندما يقتل المنافق سوف يطلق العنان للإشاعة لأن ما كان مألوفاً؛ من أن محمداً لا يقتل أصحابه؛ غير صحيح .

المطلب الثاني: الرجاء عنصر مهم في نجاح الدعوة:

قال تعالى: **﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾** [١]، أرشدنا الإسلام إلى أن الرجاء من ثمرات الإيمان العميق ذلك أن الله تعالى حث عباده على عدم القنوط ، فان في الرجاء الدائم همة في دعوة الآخرين ، حتى لو كان الأمل بعيداً فسوف يتحقق ولو في أصلاب المدعوين .

عن عُرْوَةُ ﷺ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[٢] فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟[٣] فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ[٤] مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[٥].

---

[١] الزمر: ٥٣ .

[٢] قرن الثعالب: ميقات أهل نجد ، ويقال قرن المنازل. ينظر: فتح الباري: ٣ / ٣٨٥ .

[٣] الأخشب: ((كل جبل خشن غليظ الحجارة)) ، والقصد في الحديث الجبلين . النهاية في غريب الحديث: ٢ / ٣٢ .

[٤] أصلابهم: ذراريهم . المعجم الوسيط: أحمد الزيات ، ص ٥١٩ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين ... ، ٤ / ١١٥ ، ٣٢٣١. ومسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين... ، ٣ / ١٤٢٠ ، ٣٢٣١ .

المعنى العام للحديث:

علم الرسول ﷺ أن هذا الدين سوف ينتشر وذلك واضح عندنا من خلال الأحاديث التي كان مرجعها الوحي المبارك ، فتوقع الرسول ﷺ انه لا بد وأن يتأثر أبناء هؤلاء بالدين الذي سوف ينتشر في جزيرة العرب وغيرها من البلدان في جميع أنحاء العالم .

وفي السياق نفسه حديث البخاري:

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضِيفٌ ظَهْرَهُ إِلَى قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ يَمَانٍ[١]، إِذْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «أَفَلَمْ تَرْضَوْا أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٢].

المعنى العام للحديث

إن علم الرسول ﷺ بهذا الدين ومستقبله وسرعة انتشاره في الأرض جعله يتوقع أن يكون المسلمون يوم القيامة نصف أهل الجنة .

---

[١] أدم يمان: تربة يمانية. ينظر: النهاية في غريب الحديث : ٥ / ٢٩٩.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبيﷺ ، ٨ / ١٣١ ، ٦٦٤٢.

المطلب الثالث: ابتلاء الدعاة إلى الله سنة إلهية:

إذا كان الابتلاء سنة الله في الحياة والكون فان ابتلاء الدعاة إلى الله سنة إلهية أيضاً ، حيث يقوم الكفار بمناصبة المؤمنين العداء ، لذا وجب على الرسول أو قائد الدعوة مداومة البحث عن وسائل الحماية التي بها تصان الدعوة وتستعصي على الاقتلاع .

عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " أَحْصُوا لِي كَمْ يَلْفِظُ الْإِسْلَامَ؟ "، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مَا بَيْنَ السِّتِّ مِائَةٍ إِلَى السَّبْعِ مِائَةٍ؟ قَالَ: فَقَالَ: " إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ، لَعَلَّكُمْ أَنْ تُبْتَلَوْا "، قَالَ: فَابْتُلِينَا حَتَّى جَعَلَ الرَّجُلُ مِنَّا لَا يُصَلِّي إِلَّا سِرًّا[١].

المعنى العام للحديث:

إن حرص النبي ﷺ على هذا الدين وعمله الدؤوب على نشره ، جعله يقوم بإحصاء عدد المؤمنين وهم الصحابة الكرام ﷺ ، وفي هذا سبقه العلمي لعمليات الإحصاء التي تقوم بها الدوائر المختصة في هذه الأيام ، وكذلك توقع الرسولﷺ تصدي الكفار لهذا الدين .

[١] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان ، باب الاستسرار للخائف ، ١ / ١٣١ ، ١٤٩ .

المطلب الرابع: الأولى اجتناب الفتنة :

من طباع أهل الباطل والكفار وعاداتهم ، إثارة الفتن والشبهات حول هذا الدين ، والتشكيك فيه وفي الداعين إليه ، فهم الذين يزينوها للناس ويشيعونها ويكررونها على مسامعهم حتى تألفها نفوسهم ، فعلى الداعية تفويت هذه الفرص على أهل الباطل والابتعاد عن مواضع الشبهة والأحداث التي تسبب الفتنة لئلا يتخذها المبطلون تكأة لهم[١].

عن عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ﷺ، يَقُولُ: حَدَّثَتْنِي خَالَتِي، يَعْنِي عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِشِرْكٍ، لَهَدَمْتُ الْكَعْبَةَ، فَأَلْزَقْتُهَا بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، وَزِدْتُ فِيهَا سِتَّةَ أَذْرُعٍ مِنَ الْحِجْرِ[٢]، فَإِنَّ قُرَيْشًا اقْتَصَرَتْهَا حَيْثُ بَنَتِ الْكَعْبَةَ))[٣].

قال ابن حجر: خاف الرسول ﷺ إنكار قلوبهم لإدخال الحجر في الكعبة وكذلك خشي أن ينسبوه إلى الانفراد بالفخر دونهم[٤].

---

[١] ينظر: أصول الدعوة: د.عبد الكريم زيدان ، ٤٢٦ .

[٢] الحِجر: بالكسر ، أسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي. ينظر: النهاية في غريب الحديث: ١ / ٣٤١ .

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحج ، باب نقض الكعبة وبنائها ، ٢ / ٩٦٩ ، ١٣٣٣ .

[٤] ينظر: فتح الباري: لابن حجر ، ٣ / ٤٤٤ .

المطلب الخامس: التخطيط من ركائز نجاح الدعوة واستمرارها :

خلق الله لنا العقل وكلفنا باستعماله في الخير والمصالح ، وان أولى الناس باستعمال هذه العقول وتفعيلها في دعوة الناس إلى الخير وتيسير أمور حياتهم هم المسلمون ، وإن التخطيط والتدبير واكتشاف الطرق والأساليب الحديثة في الدعوة إلى الله والحفاظ على هذا الدين من كل ضعف يجب أن يكون في سلم أولويات المسلم .

عَنْ أَبِي مُوسَىﷺ، بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِاليَمَنِ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا، فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكُمْ أَنْتُمْ يَا أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ»[1].

المعنى العام :

لما اشتد أذى الكفار على المؤمنين في مكة ، أذن لهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة حفاظاً منه على دينهم ونفوسهم ، إلا أنه لما هاجر إلى المدينة وقامت دولة الاسلام فيها لم يطلب النبي ﷺ عودتهم الى المدينة وذلك كي لا يتمكن الكفار من اجتثاث الدعوة الإسلامية .

[1] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة الحبشة ، ٥ / ٥١ ، ٣٨٧٦.

المطلب السادس: حرص الداعية على الدعوة من أسباب نجاحها:

الإخلاص في العمل من أهم أسباب النجاح ، فقد حرص الرسول ﷺ على هذه الدعوة وتفانى في العمل لها أشد التفاني وبذل الجهد الجهيد لانجاحها والعمل بها ، وذلك راجع لإيمانه العميق وفهمه الدقيق واتصاله الوثيق بالله وصبره وحبه للآخرين فكانت الدعوة همه الأول والأخير ، وهداية الناس إلى الصلاح والرشد شغله الشاغل ، فكان يخشى على أصحابه من الهلاك والفتنة لأنهم هم عنصر الدعوة المهم .

عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ[١]}[٢]فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ[٣].

---

[١] مردفين: أي متابعين يردف بعضهم بعضاً . ينظر: النهاية في غريب الحديث: ٢ / ٢١٦ .

[٢] الأنفال: ٩.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، ٣ / ١٣٨٣ ، ١٧٦٣ .

المعنى العام :

توقع الرسول ﷺ أن في هلاك هذه العصبة والوحيدة التي تدافع عن الدين يوم بدر ، هلاك للدين مما يؤدي إلى عدم عبادة الله العبادة الصحيحة كما جاء بها الإسلام ، لذلك بادر الى دعوة ربه واستدرار النصر من عنده .

المطلب السابع: أثر الملأ على الدعوة إلى الله:

تغلب على الملأ صفة العداء لهذا الدين ، في كل الأزمان والأماكن ، ولا يخفى على أحد أثرهم في الصد عن دين الله أو في اعتناقه ، لذلك فطن الرسول ﷺ لهذه القضية ودعا الله عز وجل أن يهدي بعض الملأ من قريش وذلك لنصرة هذه الدعوة[١]. قال تعالى ﴿ **قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [٢]، وقال أيضاً: ﴿ **وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**﴾[٣].

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((اللهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ))[٤].

المعنى العام

كان رسول الله ﷺ دائم الحرص والتفتيش عن أسباب نصرة هذا الدين ، فتوقع أن اعتناق أحد هؤلاء الملأ للإسلام سوف يكون سبباً في دفع عجلة الإسلام نحو الانتشار ، واعتناق الناس له. لذلك على الداعية المسلم أن يتفرس في وجوه الناس وسادتهم ، ويقوم بدعوتهم إلى الإسلام والخير والصلاح .

---

[١] ينظر: أصول الدعوة: د.عبد الكريم زيدان ، ١ / ٣٨٠ .

[٢] الأعراف:١٠٩ .

[٣] القصص:٢٠ .

[٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده: مسند عبد الله بن عمر ﷺ ، ٩ / ٥٠٦ ، ٥٦٩٥ ، والترمذي في سننه: أبواب المناقب ، ٥ / ٦١٧ ، ٣٦٨١ . قال الترمذي: ((هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ)) المصدر نفسه .

المطلب الثامن: موقف الداعية من العصاة :

جاء الإسلام ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ولم يكن القتال سبيلاً وحيداً وأساسياً في نشر الدين وإيصال رسالة الاسلام الى الناس ، بل كان آخر السبل . إن صبر الرسولﷺ على أذى الكفار ، كان سبباً في إسلام كثير منهم .

عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَنْزِعْ ثَنِيَّتَيْ[١] سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو فَلَا يَقُومُ خَطِيبًا فِي قَوْمِهِ أَبَدًا، فَقَالَ: «دَعْهُ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسُرُّكَ يَوْمًا» قَالَ سُفْيَانُ: فَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ نَفَرَ أَهْلُ مَكَّةَ، فَقَامَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: مَنْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَهَهُ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَاللَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ[٢].

المعنى العام:

لقد توقع الرسولﷺ أن الإعلام المسخر لمساندة الكفار ، سوف يكون بيد المسلمين يوماً ما ولابد وأن يسخر للدفاع عن الدين يوماً ما ، كما استعمل سلاح خيبر الذي أعد للقضاء على الدين ضد اليهود أنفسهم.

أهم فوائد هذا المبحث :

تبين لي من خلال مجموع تلك الأحاديث التي تقدمت ، مدى استعمال الرسولﷺ لاستشراف المستقبل في المجال الدعوي ، فقد رأينا أن الاستشراف عنصر ضروري من أجل نجاح الدعوة والداعية ، لأنه به تشخص حالة المدعو ، وبه تتجاوز الدعوة كثيراً من العقبات ، وبه يزرع الأمل في نفس الداعية مما يساعده في أداء مهمته على الوجه الأسلم .

---

[١] الثنية: إحدى الأسنان الأربع التي مقدم الفم اثنتان من فوق واثنتان من تحت. ينظر: المعجم الوسيط: ص١٠٢.

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب معرفة الصحابةﷺ ... ، ٣ / ٣١٨ ، ٥٢٢٨.

المبحث الثالث

أثر أستشراف المستقبل في الدعوة إلى الله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر استشراف المستقبل في الدعوة .

المطلب الثاني: ضوابط استشراف المستقبل في الدعوة .

المطلب الثالث: أهمية استشراف المستقبل للدعوة والداعية .

المطلب الأول: أثر استشراف المستقبل في الدعوة:

يتضح للناظر في سيرة النبيﷺ ، معالم القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله ، ومدى استشرافه ﷺ للمستقبل ، فحياة النبي ﷺ هي حياة الداعي إلى الحق منذ أن بعثه الله وأوحى إليه ، فلم يزل داعياً إلى الله في كل أحواله وأوقاته ، لا يمل في هذا الطريق ولا يفتر ، هدفه هداية الخلق ، وإدخالهم في دين الله .

إن المتأمل لحال الدعوة إلى الله يجدها تتقلب في حالات اليسر والعسر ، والمنشط والمكره ، فأحياناً يكتب التمكين للدعوة في الأرض ، وأخرى يكثر الحاقدون عليها والحريصون على إخفاء نورها .

ولقد عاش النبيﷺ أجواء الدعوة المختلفة ، عاشها في مكة فصبر هو وأصحابه ، وعاشها في المدينة حين نشأت دولة الإسلام ، وكتب الله له التمكين .

ثم إن هناك أمراً آخر في هذا السياق وهو أن الداعية إلى الله يواجه الناس ، على تعدد ثقافتهم ، وتقبلهم للدعوة ، وقد واجه النبيﷺ المشركين عبدة الأوثان الذين لا يملكون سنداً لهذه العبادة إلا تقليد الآباء والأجداد ، وواجه أصحاب الديانات السابقة من اليهود والنصارى المحرفين لكتبهم المتكبرين عن الانقياد للحق ، وواجه المنافقين ضعفاء النفوس ، وواجه غيرهم عليه الصلاة والسلام .

هذا التنوع في محاور الدعوة ، وأحوالها ، وتعدد المدعوين ، وأساليب الدعوة ، يجعل من التجارب المتكررة مجالاً رحباً للاستفادة ، والتخطيط للمستقبل ، بما يعود على الدعوة إلى الله بالنفع ، ويجعل من منطلقاتها الأساسية الجودة والإتقان ، وهذا ما يحققه استشراف المستقبل .

ولابد من البصيرة في الدعوة إلى الله التي هي وظيفة الأنبياء ، ورسالة الله في كتابه الحكيم؛ ذلك بأن تقوم على خطط محكمة تهدي للتي هي أقوم ، ولذلك كان استشراف المستقبل والتخطيط له أولى من مفاجآته دون سابق توقع وتقدير ، فنجاح الداعية في الغالب متوقف على قوة أو ضعف استشرافه للمستقبل ، والتخطيط له ، وذلك مما لا ينبغي الزهد فيه أو الاستغناء عنه، لأن الوقوف وعدم تقدير الظروف ، ومعرفة الخطوات القادمة ، أمر غير مقبول ولا تحصل به نتيجة ، وهو فشل وتخبط: ((

والأجدر بأهل الحق أن يأخذوا بالأسباب ، فيخططوا ويتوكلوا على الله ، ويفرقوا بين الأمنيات والإمكانات ، ولا ينطلقون من خيال ، إنما من واقع مدروس))[١].

وموضوع المستقبل واستشرافه يشترك فيه جميع البشر ، فالحياة التي يعيشونها تبحر بهم إلى المستقبل ، وساعاتها وأيامها تتقدم بهم دائماً إلى الإمام ، والعبرة في سعادة البشر هو ما تؤول إليه حياتهم في نهاية المطاف؛ لان العبرة بالخواتيم ، وغيابه في حياة الناس عموماً والدعاة على الأخص يؤدي إلى كثير من التخبط والعشوائية في المواقف وتقدير الخطوات ، بل قد يجعل الواحد يعيش في دوامة وحيرة لعدم وضوح الرؤية عنده ، وللغموض الذي يسيطر على مستقبله وطموحاته ، وهناك تصورات خاطئة لبعض المفاهيم الشرعية تزهد البعض في الانطلاق والتخطيط والتفكير في المستقبل ، فيعيش حياته خاملاً ، لا يفكر في أبعد من قدميه .

واستشراف المستقبل والتخطيط له أصبح في عالم اليوم من الضروريات؛ لأن العالم لا يستمد قوته من إمكانياته المتوفرة لديه؛ لكنه يستمد قوته بالدرجة الأولى من قوة استشرافه للمستقبل والتخطيط له ، وبعد النظر ، واستحضار النظرة المستقبلية للأمور ، وهذه المعاني والمعالم لا يمكن أن تستغني عنها الدعوة إلى الله ((في عصر يؤسس كل شيء على العلم ، ولم يعد يقبل الارتجال والغوغائية في أمر من أمور الحياة ، فلا بد لأي عمل جاد من الدراسة قبل العزم عليه ، ولا بد من الإقناع بجدواه قبل البدء فيه ولا بد من التخطيط قبل التنفيذ))[٢] ، ويعتبر استشراف المستقبل والفقه فيه ، معلماً مهماً في نجاح الدعوة والداعية ؛ لأنه وجد من الدعاة المخلصين من تأثر بواقع المسلمين المرير ، وما هم فيه من ضعف ، فتحمس للتغيير ، وإنقاذهم مما هم فيه ، وانطلق في تنفيذ واجب الدعوة إلى الله ؛ دون استشراف مستقبل أيامه ودون أن يخطط ويدرس حجم الواجب الذي عليه أن يؤديه ، والقادم الذي ينتظره ويترتب عليه؛ فكانت النتيجة المباشرة أن هؤلاء الدعاة أخذوا ((يرتجلون في أعمالهم وأقوالهم ، ويتخبطون في

---

[١] الدعوة قواعد وأصول: جمعة أمين عبد العزيز ، ص٧٢ .

[٢] في فقه الأولويات: د.قرضاوي، ص٧٣.

منهجياتهم وأساليبهم ووسائلهم ، منطلقين في ذلك من الرغبة في تحقيق واجباتهم غاضين النظر عن إمكاناتهم وقدراتهم))[١].

وتتأكد الحاجة للنظر إلى المستقبل واستشرافه في حياة الدعوة والداعية ، لأن العمل الدعوي بحاجة ماسة إلى رؤية مستقبلة متكاملة وواضحة ، بعيداً عن الارتجال والعشوائية والتخبط ، وردود الأفعال التي نلحظها بارزة في الأعمال الدعوية والمشاريع الإصلاحية ، حتى يحصل للدعوة الاستقرار والأمان والقوة، التي هي من صميم الإعداد المأمور به شرعاً فلنعد في هذا المجال ما نستطيع من قوة .

والداعية إلى الله أولى الناس باستشراف المستقبل والتخطيط له، لأن واجبه أن: ((لا يدع الأمور تجري في أعنتها من غير انتفاع بتجارب الأمس ، ولا رصد لوقائع اليوم ، ولا تقويم للصواب والخطأ في الاجتهادات ، ولا مقدار المكاسب والخسائر في المسيرة بين الأمس واليوم ، ولا معرفة دقيقة بما لدينا من طاقات وإمكانات مادية ومعنوية ، ظاهرة أو كامنة ، مستغلة أو مهدرة ، وما هي مصادر القوة ونقاط الضعف))[٢] ،[٣].

---

[١] فقه الموازنات الدعوة معالمه وضوابطه: د.معاذ البيانوني ، ص ٢٦٦ .

[٢] في فقه الأولويات: د. قرضاوي ، ٢٧٣ .

[٣] في فقه الأولويات: د. قرضاوي ، ٢٧٣ .

المطلب الثاني: ضوابط استشراف المستقبل في الدعوة:

هناك ضوابط للاستشراف لابد للدعاة من استحضارها عند استشرافهم للمستقبل والنظر فيه، وهي:

الضابط الأول: موافقة الاستشراف لما في الكتاب والسنة الصحيحة ، بمعنى: أن تتسق معطيات الدراسة مع ما تطلبه الأدلة الشرعية .

الضابط الثاني: موافقة السنن الكونية: فمن حكمة الله أن أجرى الكون والحياة الإنسانية على سنن ونواميس تتمثل في قوانين مطردة تجعل الأحداث مرتبطة ببعضها ارتباط مسبب بسبب ، أو نتيجة ومقدمة ، ولذا فقد أمر الله عز وجل بالنظر والتفكر في مسيرة الماضين ، قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [١]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾[٢].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ((وبالجملة فالقرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتب الجزاء بالخير والشر والأحكام الكونية والأمرية على الأسباب، بل ترتيب أحكام الدنيا والآخرة ومصالحهما ومفاسدهما على الأسباب والأعمال. ومن تفقه في هذه المسألة وتأملها حق التأمل انتفع بها غاية النفع، ولم يتكل على القدر جهلا منه، وعجزا وتفريطا وإضاعة، فيكون توكله عجزا، وعجزه توكلا، بل الفقيه كل الفقه الذي يرد القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر، بل لا يمكن لإنسان أن يعيش إلا بذلك، فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر. والخلق كلهم ساهون في دفع هذا القدر بالقدر، وهكذا من وفقه الله وألهمه رشده))[٣].

الضابط الثالث: مراعاة القواعد الشرعية: ويمكن تقسيم هذه القواعد من حيث أصولها إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

---

[١] آل عمران:١٣٧.

[٢] الروم:٤٢ .

[٣] الجواب الكافي: ابن قيم الجوزية ، ص ١٠ .

١. ما كان أصله أية قرآنية ، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[١].
٢. ما كان أصله حديثاً نبوياً [٢]، نحو ﷺ: ((لا ضرر ولا ضرار ...))[٣].
٣. ما استنبطه الفقهاء من عموم النصوص الشرعية من قواعد، نحو قاعدة: اليقين لا يزول بالشك[٤]، وغيرها.

الضابط الرابع: أن يكون القائم بعملية الاستشراف من أهل الاختصاص ، وصاحب كفاءة علمية وعملية.

الضابط الخامس: عدم الجزم بنتيجة الدراسة: وهذا متبع في كل أمر لا نص للشرع فيه ، ولا إجماع قطعي ، فالباحث عليه أن يستند لما يعضد رأيه من دلائل وقرائن وبينات ، أما الجزم بنتيجتها فلا يكون في غير القطعيات المأمور بالجزم بها ، أما الطرق الظنية كدراسات المستقبل فإنها وان جاز استعمالها إلا أنه لا يجزم بنتيجتها؛ لئلا يخالف المقطوع به من عدم إدراك الغيب .

الضابط السادس: الاعتقاد بأن مشيئة الله نافذة: من أهم الضوابط العقدية التي يجب العمل بها عند استشراف المستقبل أن يعتقد المستشرف أن المشيئة لله تبارك وتعالى وحده دون خلقه ، فهو الذي بيده الأمر كله ، ماضيه وحاضره ومستقبله ، ولا راد لحكمه ، ولا معقب لقضائه ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾[٥] ، قال ابن كثير: ((أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ، ولا يدخل في الإيمان ، ولا يجر لنفسه نفعاً))[٦] ،[٧].

---

[١] الحجرات: ١٣ .

[٢] ينظر: الاشباه والنظائر: للسيوطي ، ١ / ٨٣ .

[٣] أخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب البيوع ، ٢ / ٦٦ ، ٢٣٤٥ ، وقال: ((هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ)) .

[٤] ينظر: الأشباه والنظائر : لابن نجيم ، ١ / ٤٧ .

[٥] الإنسان: ٣٠.

[٦] تفسير القران العظيم: ابن كثير: ٤ / ٤٥٩ .

[٧] ينظر: من معالم الاستشراف والتخطيط المستقبلي: محمد السمان ، ص٧. أهمية استشراف المستقبل وضوابطه دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية: د.محمد البشير: ص ١٩٠ وما بعدها.

المطلب الثالث: أهمية استشراف المستقبل للدعوة والداعية:

في استشراف المستقبل للدعوة والداعية أهمية كبيرة ، يمكن تلخيصها في الأمور الآتية:

١. في استشراف المستقبل تهيئة النفوس لقبول الحق وسماعه والاقتناع به:

فتبليغ الإسلام والقيام بواجب الدعوة وحصولها والقناعة بها؛ لا يمكن أن يكون بين ليلة وضحاها، بل يحتاج إلى وقت ومراحل من التهيئة لحصولها ، ولذلك استغرقت الدعوة المحمدية ثلاثاً وعشرين سنة؛ لتقع موقعها ، وتستقر في النفوس ، وتكتمل حقيقتها وصورتها؛ ولتصبح بعد ذلك دين الله الذي لا يقبل الله غيره ولا يرتضي سواه ، ولذلك كان من المهم عند القيام بواجب الدعوة إلى الله؛ تهيئة النفوس والأجواء لتكون مناسبة لعرضها ، حتى تقبل وتؤتي ثمارها يانعة ، ولذلك كانت الحكمة واضحة من نزول القرآن منجماً ومفرقاً حسب الحوادث والوقائع والمستجدات؛ كل فترة تمهد للتي بعدها ، وبهذا الترتيب ، لتستكشف وتستشرف ما بعدها ، فيكون التكليف ممهداً للذي بعده ومهيئاً له؛ لتتقبله النفوس وتؤمن به وتقتنع.

٢. في استشراف المستقبل تحقيق الكمال والإحكام وترسيخ المبادئ :

مَنْ يريد تشييد بناء متين ، وصرح شاهق ، يحتاج إلى خطوات مدروسة ومراحل متأنية ، وأساسات متينة يبني عليها بنيانه ، وفقه الداعية في استشرافه المستقبل والتخطيط له يمكنه من غرس المبادئ وترسيخها في النفوس؛ لأنه يبنيها مرتبةً مبتدءاً بالأولى الذي يكون مقدمة وتهيئة للثاني الذي يأتي بعده ، وبهذا الفقه والتسلسل خطوة خطوة ولبنة لبنة يشيد الداعية بناء الدعوة المتين ، وصرحها المتماسك ، وكل من يريد الإعداد الجيد والإحكام التام لدعوته يحتاج أن يتعرف على واقعه بدقة ، ويستشرف مستقبله بصدق ، للمرور عبر بوابة التاريخ بخطوات ومراحل معلومة ومدروسة؛ وعلى

ذلك قامت الدعوة الإسلامية الأولى؛ فكانت مستمرة وباقية وثمرتها وآثارها وأتباعها مستمرون إلى قيام الساعة .

٣. حماية الدعوة والداعية ووقايتهم من العثرات والزلات:

الدعوة معرضة في سيرها للتعثر والزلل ، ، ولكن الله يحمي الداعية من ذلك بفقه دعوته واستشراف مستقبلها ، والرؤية الواضحة في خطواتها وما ستقبل عليه ، ويزيد الدعاة إلى الله حفظاً وحماية لهم ولدعوتهم من العثرات والزلات ، إدراكهم ما في استشراف المستقبل والتخطيط له من المكاسب التي تجنبهم الآثار والعواقب الوخيمة ، والخطوات الارتجالية ؛ البعيدة عن الحكمة والبصيرة ، مما يوقعهم فيما لا تحمد عقباه من فشل وندم على ما فات لهم ولدعوتهم ، ويقفون متأسفين على ما فعلوا .

ومن أبرز ما يحصل فيه الخطأ والخلل، ويحتاج الدعاة إلى الله إلى الانتباه له ؛ هو تشتيت جهود الدعوة والدعاة عن القضايا المهمة والأصيلة التي سيصل بها ومن خلالها للهدف والمقصود إلى بنيات الطريق التي تحرفه عن الطريق وتشغله عن السير[١].

---

[١] ينظر: استشراف المستقبل والتخطيط له: د. علي الشنقيطي ، ص ٤٣٦ ، وصفات الداعية: د.حمد العمار ، ص ٩١ .

الخاتمة

أسأل الله العلي القدير أن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها ، ويوفقنا في الدنيا والآخرة، والحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، الذي أعانني على انجاز هذا البحث ، وفي الختام أستخلص النتائج الآتية:

١. الاستشراف في اللغة: أصله من شرف وأشرف وتشرف واستشرف ، يقال: شرف المكان شرفاً أي ارتفع ، والرجل شرف أي علت منزلته فهو شريف .
٢. الاستشراف في الاصطلاح: ((التطلع إلى المستقبل من خلال دراسة الماضي ، وفهم الحاضر والسنن الفاعلة فيها)) .
٣. في السنة النبوية شواهد جمة على بث روح الاستشراف الذي ينظر إلى حسنات المستقبل ، ليتغلب على مصاعب الحاضر وتهون معه أحزان الماضي .
٤. ورث الصحابة الكرام رضي الله عنهم من النبي ﷺ ملكة الاستشراف وساروا على منهجه في ذلك ، فكانوا يستشرفون المستقبل ويخططون له .
٥. من أسس الاستشراف الثقة واليقين وحسن الظن بالله وبمجاري أقداره ، والمسلم يستمد ذلك من وعد الله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾.
٦. إن مقومات الاستشراف في السنة النبوية كثيرةٌ ، منها: زاد الثقة بالله تعالى ، حراسة الدين والقيم ، قوة الدعاء .
٧. أهمية الاستشراف في ضوء السنة النبوية: ينطلق استشراف المستقبل في المنهج الإسلامي من مرتكزات شرعية ، ويقوم على أسس دينية ، وقيم خلقية؛ لان الشريعة الإسلامية التي جاء بها نبينا محمد ﷺ وضعت لجلب المصالح ودرء المفاسد .
٨. في السنة النبوية تأصيل لاستشراف المستقبل ، وبيان لأثره البالغ في نهضة الأمة الإسلامية ، ودوره العظيم في تحقيق قوتها ، وبلوغها أهدافها ، فمن أعمل فكره في السنة النبوية المطهرة وأجال نظره في صفحات السيرة النبوية فانه سيجد نماذج متعددة وصوراً مختلفة لاستشراف المستقبل الديني والدنيوي ، والفردي والجماعي.
٩. من وسائل الاستشراف: ((الوعي التاريخي والتجربة الماضية ، مع نفاذ البصيرة وبعد النظر وتقدير كل الاحتمالات من أجل الاستعداد لأسوئها)) ،

١٠. واستشراف المستقبل والتخطيط له أصبح في عالم اليوم من الضروريات؛ لأن العالم لا يستمد قوته من عضلاته المفتولة ولا من قدر الحديد الذي يملكه؛ لكنه يستمد قوته بالدرجة الأولى من قوة استشرافه للمستقبل والتخطيط له .

١١. ضوابط استشراف المستقبل في الدعوة: موافقة الاستشراف لما في الكتاب والسنة الصحيحة ، موافقة السنن الكونية ، مراعاة القواعد الشرعية ، أن يكون القائم بعملية الاستشراف من أهل الاختصاص ، عدم الجزم بنتيجة الدراسة ، الاعتقاد بان مشيئة الله نافذة .

١٢. إن في استشراف المستقبل للدعوة والداعية أهمية كبيرة ، نلخصها في الأمور الآتية: في استشراف المستقبل تهيئة النفوس لقبول الحق وسماعه والاقتناع به ، في استشراف المستقبل تحقيق الكمال والإحكام وترسيخ المبادئ ، حماية الدعوة والداعية ووقايتهم من العثرات والزلات .

المصادر

١. أثر الاستشراف والتخطيط المستقبلي في العلم والتعليم في ضوء السنة النبوية: د.طه محمد فارس ، من منشورات: الأمانة العامة للندوة الدولية للحديث الشريف / كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي ، ضمن أعمال الندوة الدولية الخامسة ، ١٤٣٢ ، ٢٠١١ .

٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد القسطلاني ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، ط: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٣. الاستشراف الايجابي للمستقبل في ضوء السنة النبوية: د.الذوادي بن بخوش ، من منشورات: الأمانة العامة للندوة الدولية للحديث الشريف / كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي ، ضمن أعمال الندوة الدولية الخامسة ، ١٤٣٢ ، ٢٠١١ .

٤. إستشراف المستقبل في الأحاديث النبوية: عبد الرحمن قشوع ، رسالة ماجستير ، الجامعة الاردنية ، ٢٠٠٥.

٥. إستشراف المستقبل والتخطيط له وحاجة الدعوة والداعية إليه دراسة تأصيلية: د.علي بن محمد الشنقيطي ، من منشورات: الأمانة العامة للندوة الدولية للحديث الشريف / كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي ، ضمن أعمال الندوة الدولية الخامسة ، ١٤٣٢ ، ٢٠١١ .

٦. الْأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

٧. الأشباه والنظائر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، ط: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٨. أصول الدعوة: د.عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، ط:٢ ، ١٩٨٧.

٩. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين–بيروت ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢ .
١٠. أهمية استشراف المستقبل وضوابطه دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية: د.محمد البشير ، من منشورات: الأمانة العامة للندوة الدولية للحديث الشريف / كلية الدراسات الإسلامية والعربية – دبي ، ضمن أعمال الندوة الدولية الخامسة ، ١٤٣٢ ، ٢٠١١ .
١١.البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف – بيروت .
١٢.البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: العلامة محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة – بيروت.
١٣.تاج العروس: لمحب الدين محمد مرتضى الزبيدي ، مكتبة الحياة بيروت،١/٨٣٨١.
١٤.تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، ت: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م .
١٥.توثيق السنة في القرن الثاني الهجرة اسسه واتجاهاته: د.رفعت فوزي عبد المطلب ، مكتبة الخاني في مصر ، ط:١ ، ١٩٨١. .
١٦.الجواب الكافي: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية ، دار المعرفة – المغرب ، ط: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٧.الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، ت: محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند – ، ط٢ ، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .
١٨.الدعوة قواعد وأصول: جمعة أمين عبد العزيز ، دار الدعوة الاسكندرية ، ط:٢ ، ١٤٠٩.

١٩.سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ، ت:أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر ، ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٢٠.السنن الكبرى: أحمد بن الحسين ، أبو بكر البيهقي ، ت: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط: ٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

٢١.شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ، ت: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط ، دار بن كثير – دمشق – ، ط١ ، ١٤٠٦هـ.

٢٢.شرح صحيح البخاري: علي بن خلف بن بطال ، ت:ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية–الرياض ، ط:٢ ١٤٢٣ .

٢٣.الصبح المنبي عن حيثية المتنبي: يوسف البديعي الدمشقي ، المطبعة العامرة الشرفية ، ط: ١، ١٣٠٨ هـ

٢٤.صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط:١ ، ١٤٢٢ .

٢٥.صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي–بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٢.

٢٦.صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٢٧.صفات الداعية: د.حمد بن ناصر العمار ، دار اشبيليا للنشر والتوزيع السعودية ، ط١ ، ١٩٩٦ .

٢٨.الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

٢٩.طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، ت: د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع – ، ط٢ ، ١٤١٣هـ.

٣٠.غريب الحديث: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ت: د. عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني – بغداد ، ط: الأولى، ١٣٩٧

٣١.الفتاوى الكبرى: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م .

٣٢.فتح الباري شرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ .

٣٣.فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، ط: الأولى – ١٤١٤ هـ .

٣٤.فقه الموازنات الدعوة معالمه وضوابطه: د.معاذ البيانوني ، شركة الابداع الفكري– الكويت ط:١ ، ١٤٢٦هـ.

٣٥.في فقه الأولويات: د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة–مصر ، ط:٨ ، ٢٠٠٨ .

٣٦. القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة– بيروت ، ط٧

٣٧.كتاب الأموال: أبو عبيد القاسم بن سلام ، ت : خليل محمد هراس ، دار الفكر. – بيروت.

٣٨.كنوز الدعوة إلى الله وأسرارها: الشيخ يوسف خطار محمد ، مطبعة نضر–دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٢ .

٣٩.لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار صادر–بيروت ، ط١

٤٠.مجلة عالم الفكر: ١٨/١٠٠٥/١٩٨٨.

٤١.المدخل إلى علم الدعوة: محمد أبو الفتح البيانوني ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠١ .

٤٢.المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ت: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠ .

٤٣.مستقبل الإسلام في رؤية حضارية: لؤي صافي ، ضمن مجموعة بحوث بعنوان: مستقبل الإسلام ، دار الفكر–دمشق ، ط:١ ، ٢٠٠٤ .

٤٤.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المكتبة العلمية – بيروت.

٤٥.المعجم الأوسط: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، ت: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين – القاهرة .

٤٦.المعجم الوسيط: (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، دار الدعوة .

٤٧.من معالم الاستشراف والتخطيط المستقبلي في الدعوة في ضوء السنة: محمد بن عدنان السمان السمان .

٤٨.الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٤٩.النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر.

٥٠.النهاية في غريب الحديث: مجد الدين بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير ، ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

٥١.هموم المسلم المعاصر: د.يوسف قرضاوي ، دار الشهاب–الجزائر.

٥٢.الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: محمد بن سويلم أبو شُهبة ، دار الفكر العربي .